عبره باسماء متعددة ، وتشمل اليوم ما يعرف بسوريا ولبنان وفلسطين والاردن والعراق ؛ كان على الدوام تاريخا مشتركا وسجلا لتفاعل مستمر بين سكان هذه المنطقة . ويستحيل على المؤرخ ، مهما حاول ، ان يمر بحقبة من حقبات هذا التاريخ ليجدها خلوا من عملية التفاعل هذه . حقيقة استمرت من التاريخ القديم ، فالمتوسط ، حتى الحديث .

والعبرة من هذه الحقيقة هي دحض هذا الوهم القائل بقدرة اي شعب من شعوب هذه المنطقة ، او اي قبيلة من قبائلها ، او اي طائفة من طوائفها ، على « عزل » مسيرتها الحياتية عن المجرى العام لمسيرة المنطقة كلها . وكل اسوار العزلة التي قرأنا عنها في ديار هذه المنطقة لم تستطع في النهاية ان تصمد امام رياح التغيير الثقافي والحضاري التي كانت تهب من المنطقة ، ليعود التفاعل من جديد تاثرا بالوافد وتاثيرا به .

● والحقيقة الثانية في تاريخ هذه المنطقة ، هي رفض سكان هذه المنطقة لكل موجات الغزو الاجنبي الذي تعرضت له . وكلنا يعلم ان موقع هذه المنطقة على خريطة العالم ، جعلها منذ القدم عرضة لاطماع الغير من الشرق والغرب على السواء . الفرس والروم في قديم الزمان مرورا بالتتر والمغول ثم الترك والاوروبيون وغيرهم ، ممن غزوا وحكموا ولكنهم اخيرا نزحوا ليبقى سكان هذه المنطقة في ديارهم يمارسون دورهم السرمدي في الدفاع عن حياتهم ثم في تطويرها ودفعها للامام . والتجربة الراهنة في عصرنا هذا تتجسد في صراع اهل المنطقة ضد اخر غزوات الاجنبي ، اي الغزوة الصهيونية والتي لن يكون مصيرها الا كمثل ما سبقها من غزوات.

والعبرة من هذه الحقيقة واضحة بينة .

● والحقيقة الثالثة في تاريخ هذه المنطقة ، والتي يوجد خلاف من حولها ، تتعلق بمرحلة مميزة من هذا التاريخ ، تلك المرحلة التي بدأت بظهور الاسلام . فهناك في لبنان ، وغيره من بعض اقطار هذه المنطقة ، من يرى في الفتح الاسلامي غزوة كغيرها من الغزوات التي قام بها الفرس او الروم ، وان العروبة التي ينادي بها البعض الاخر ليست الا اسما حركيا او سياسيا « للاسلام » فاين الحقيقة في هذا الكلام ؟

× × ×

ان جوهر الخلاف القائم حول هذه « الحقيقة » والذي تفجر صراعا مسلحا في لبنان ، لا ينبع في اصله من عدم الاتفاق حول القراءة الموضوعية والف المشترك لتاريخنا الواحد ، بقدر ما يصدر عن الخلاف حول العبرة المستخر من هذه القراءة والتي يجب ان تحكم توجهاتنا لصياغة حياتنا المستقبلية